شرح العقيدة الواسطية

الدرس السادس عشر

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين؛ أمّا بعد...

فقال المؤلف رحمه الله: **(فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ)**

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان.

الإيمان في اللغة: هو التصديق، وقال بعض أهل العلم: هو الإقرار، والذي يهمنا هنا: هو المعنى الشرعي.

الإيمان بالمعنى الشرعي: هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان؛ هذا هو تعريف الإيمان، فإذا تحققت هذه الأركان الثلاثة في العبد؛ صار مؤمناً، وإذا لم تتحقق هذه الثلاثة الأركان؛ لا يكون مؤمناً، كما قال الإمام الشافعي: لا يجزئ أحد هذه الثلاثة عن الآخر؛ أي: كلّ واحد لا بدّ أن يكون أصله موجوداً عند المؤمن حتى يُسمى مؤمناً، هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة؛ فهو مكوّن من ثلاثة أركان: الاعتقاد والقول والعمل، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعونَ شُعْبَةً؛ أَعْلاها لا إله إلَّا الله، وأَدْناها إماطَةُ الأَذى عَنِ الطَّريقِ، والحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ"؛ فجمع هذا الحديث: الاعتقاد والقول والعمل، ودلّت أدلة الكتاب وأدلة السنة المتواترة على أنّ الإيمان يكون بهذه الثلاثة.

أجمَلَ المؤلف رحمه الله عند تعريف للإيمان؛ فقال: (قَوْلٌ وَعَمَلٌ)؛ ثم فصَّل وبيّن ما مراده من القول والعمل، فقال: (قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ)؛ فالقول للقلب وللسان، والعمل للثلاثة.

والمقصود بقول القلب: الذي هو التصديق- تصديقه-.

والمقصود بقول اللسان: هو النطق بالشهادتين.

والمقصود بعمل القلب: هو أعمال القلوب من: الإخلاص والحبّ والبغض والخوف والرجاء والتوكل وما شابه؛ كلّ هذه من أعمال القلوب، وتسمى عملاً للقلب.

وعمل اللسان هو: الأذكار؛ التسبيح والتهليل والاستغفار وما شابه؛ هذا من عمل اللسان.

وأمّا عمل الجوارح فمعلومة؛ كالصلاة والصيام والحجّ وما شابه.

فالإيمان يتكون من هذه الثلاثة: اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح والأركان.

قال: **(وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ)**

الإيمان عند أهل السنة يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، كلّما تعبد العبد زاد إيمانه، وكلّما ترك عبادة أو فعل معصية نقص إيمانه، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة كثيرة؛ منها قول الله تبارك وتعالى: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} ، ومنها قوله: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}، ومنها قول إبراهيم عليه السلام لمّا قال له ربنا تبارك وتعالى: {قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي}؛ زيادة في الإيمان، إذن: فالإيمان يزيد وينقص، وفيه نقصان كما قال النبي ﷺ في النساء: "ما رَأَيْتُ مِنْ ناقِصاتٍ عَقْلٍ وَدينٍ مِنْ أَحْداكُنَّ"، فينقص الإيمان ويزيد؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

خالف في ذلك طائفتان:

الطائفة الأولى: الخوارج؛ وهؤلاء هم الذين يقولون كما يقول أهل السنة والجماعة بأنّ الإيمان اعتقاد وقول وعمل، لكن ما الفرق بينهم وبين أهل السنة؟

أهل السنة يقولون: أعمال الجوارح من الإيمان، لكن إذا ذهب بعضها لا يذهب الإيمان بالكلية، يعني إذا كان الشخص تاركاً للصوم لا يذهب إيمانه، إذا زنى لا يذهب إيمانه، أمّا الخوارج فيقولون: يذهب إيمانه؛ لأنّ الإيمان عندهم لا يتبعض، إذا ذهب بعضه

ذهب كلّه، وهذا الأصل هو نفسه الأصل الموجود عند أعدائهم ومن يضادهم في عقيدتهم وهم المرجئة؛ المرجئة أيضاً قالوا: الإيمان لا يتبعض، ولكن الفرق بين المرجئة والخوارج أنّ الخوارج قالوا: بأنّ الإيمان هو اعتقاد وقول وعمل.
وأمّا المرجئة فقالوا: لا؛ الأعمال - أعمال الجوارح - لا تدخل في الإيمان؛ فصار الإيمان عندهم الإيمان: هو اعتقاد فقط- على خلاف بينهم أنفسهم-، فقال هؤلاء المرجئة: هو جزء واحد أيضاً لا يتبعض.

فصار عندنا طرفان ووسط:

الخوارج قالوا: الإيمان اعتقاد وقول وعمل؛ لكنّ الأعمال كلّها من أصل الإيمان، فإذا زال عمل من الأعمال؛ زال الإيمان.

أما المرجئة؛ فقالوا: أعمال الجوارح ليست من الإيمان؛ إذن فمحل الخلاف هو أعمال الجوارح- هي محل الخلاف-.

وأما أهل السنة؛ فقالوا: بأنّ أعمال الجوارح من الإيمان.

جميع طوائف المرجئة تتفق في هذا الأصل؛ وهو إخراج أعمال الجوارح عن الإيمان، الخوارج يُدخلون أعمال الجوارح؛ لكنهم يقولون: إذا ذهب عمل؛ ذهب الإيمان، إذا ذهب عمل كالصوم والصلاة والزكاة وما شابه ذهب الإيمان، إذا ارتكب الشخص معصية كبيرة ذهب إيمانه كالزنى والسرقة وشرب الخمر وما شابه؛ هذه عقيدة الخوارج وتلك عقيدة المرجئة.

وأهل السنة وسط بينهما، يقولون: أعمال الجوارح من الإيمان ولكن لا يكفر الشخص إلّا بأن يترك أعمال الجوارح بالكلية، أمّا إذا ترك عملاً أو عملين أو ارتكب ذنباً أو ذنبين؛ فهنا لا يكفر، ونعني بالذنوب: كشرب الخمر وما شابه.

هنا مسألة مهمة: تقريباً هذه المسائل التي ذكرناها من عقيدة أهل السنة في مسائل الإيمان معلومة عند الجميع وأدلتها أصبحت واضحة، لكن لمعنى الإيمان هذا لوازم تلزم على تعريف الإيمان؛ تعريف الإيمان هذا له لوازم:

إذا قلت بتعريف الخوارج لزمتك لوازم، وإذا قلت بتعريف المرجئة لزمتك لوازم، وإذا قلت بتعريف أهل السنة لزمتك لوازم؛ ماهي؟
أهم ما نريد أنّ نركز عليه في هذا هو مسألة الكفر.
تعريف الكفر عند أهل السنة والجماعة هو: ما يضاد الإيمان، وعند المرجئة: ما يضاد الإيمان، وعند الخوارج: ما يضاد الإيمان؛ لماذا؟ لأنّ المسألة لازمة لتعريف الإيمان، فإذا قلت في الإيمان تعريفاً يكون ضدّه الكفر.
مثال ذلك: أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، والكفر ضدّه، فيكون الكفر عندهم بالاعتقاد والقول والعمل، كما أنّ الإيمان عندهم بالاعتقاد والقول والعمل.

كذلك الخوارج يقولون: الكفر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، لكن بناء على أصلهم بما أنّ الكفر يكون بالعمل سواء كان مما يُكفّر به أهل السنة أو لا يكفرون به كارتكاب الكبائر.

أما المرجئة فيقولون: الكفر لا يكون بالعمل؛ لأنّ تعريف الإيمان عندهم ليس فيه عمل؛ أعمال الجوارح ليست من الإيمان عندهم، يقولون: الإيمان هو التصديق، فإذا قلت الإيمان هو التصديق؛ فيكون عندك الكفر ضد التصديق؛ وهو التكذيب، فإذا قلت بأنّ الكفر هو التكذيب؛ فأنت تقول ولابد بأنّ الإيمان هو التصديق؛ فتخرج أعمال الجوارح من الإيمان؛ فيلزمك أحد أمرين لا ثالث لهما:

إمّا أنّك تقول بهذا القول وهو قول المرجئة الصارخ، أو أنّك رجل متناقض لا تعقل ما يخرج من رأسك جاهل بالمسائل العلمية؛ لا ثالث لهما؛ لأنّ الكلّ علم أنّ الإيمان والكفر ضدان والتزموا بهذه اللوازم حتى جئت أنت وتخبطت وأتيت بأقوالٍ مشرقاً ومغرباً.

فإذا فهمنا هذا؛ فهمنا التخبطات التي تحصل عند بعض المتعالمين في زمننا هذا، يأتي ويقول: (الإيمان اعتقاد وقول وعمل) فتفرح وتقول له: جزاك الله خيراً، تبارك الله هذا الرجل من أهل السنة، فإذا جاء يعرف الكفر؛ قال: الكفر هو التكذيب، وعندما أراد أن يُحسّن الوضع قليلاً فرّق بين الكافر كفراً أصلياً وبين الكافر كفراً مرتداً بذلك، فقال: الكفر الأصلي هو أنواع كما يقسّمه أهل السنة: كفر شك، كفر تكذيب، كفر جحود، كفر استكبار ... إلخ، لكن كفر الرّدّة هذا لا يكون إلّا بالتكذيب، فلسفة جديدة وبدعة جديدة من هذا الرجل؛ لذلك وصفه أهل العلم بالإرجاء، وبأنه قائد المرجئة في المملكة.

لماذا هذا التخبط الجديد الذي نتج عن جهل بمسائل الإيمان؟

لأنّ الرجل لم يأخذ المسائل العقائدية عن العلماء، ما درسها دراسة، إنما هي ثقافة من هنا وهناك؛ لذلك وقع في هذا التخبط العجيب، المهم في الموضوع، هذه منها.

الآن لمّا علمنا بهذا اللازم، إذن ننضبط فنقول: إذا اعتقدنا بأنّ الإيمان اعتقاد وقول وعمل؛ فيكون الكفر عندنا اعتقاد وقول وعمل، من سبّ الله تبارك وتعالى؛ كَفَرَ كُفراً عملياً، من سجد للصنم كفر كفراً عملياً.

ماذا يقول المرجئة في مثل هذا؟

الكفر عندهم لا يكون بالعمل؛ يقولون لمّا حكم الشارع عليه بأنّه كفر علمنا بذلك أنّه دليل على الكفر الذي في القلب؛ فالكفر عندهم لا يكون إلّا بالتكذيب، فبناء على

ذلك الأعمال لا تكون كفراً، لكن أشكل عليهم الأمر؛ كيف لا تكون الأعمال كفراً وقد حكم الله على مثل هذه الأفعال بأنّها كفر؟

قالوا: هو دليل على الكفر الذي في القلب؛ لذلك سُمي كفراً.

تحريف ولف ودوران؛ هذا ضابطهم في الكلام، يأتي ويقول: هذا ليس كفراً؛ بل هو دليل على الكفر؛ لماذا؟ لأنّه يلتزم بهذا.

ونحن مشكلتنا اليوم مع المتناقضين؛ لأنّ دعوة أهل السنة- بحمد الله- قوية لها شوكتها؛ لذلك يتلبس بها من ليس من أهلها، ومن وجدت في قلوبهم عقيدة أهل البدع فخافوا أن يُصرحوا بهذا؛ فأخذوا يذكرون ما يستنكره صغار أهل السنة قبل كبارهم، يذكرونه بناء على السنة؛ لكنهم بعد ذلك يذكرون اللوازم التي في نفوسهم؛ فنحن نَحذر من هذه المسألة.

قال المؤلف: **(وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ)**

أي: مع قولهم أنّ الإيمان قول وعمل.

قال: **(لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ)**

هذا فارق هنا؛ لماذا قال: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ)؟

لأنّه وإن التقى الخوارج معهم في تعريف الإيمان؛ إلّا أنّهم يختلفون معهم في هذه المسألة؛ وهي: التكفير بالكبيرة، الخوارج يُكفّرون بالكبيرة، وأهل السنة وإن أدخلوا الأعمال في الإيمان إلّا أنّهم لا يُكفّرون صاحب الكبيرة، ومقالة ابن تيمية رحمه الله هنا دقيقة، أدقّ من مقالة صاحب الطحاوية عندما قال: (ولا يُكفّرون بذنب مالم يستحله) العبارة هنا هي الدقيقة، قال: (لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ)، أي: لا يُكفّرون بأي معصية أو أي كبيرة، فمن المعاصي ما هي كفر، ومن الكبائر ما هو كفر، فيُكفّرون به، فيُكفّرون من حكم عليه الشارع بالكفر، ومن لم يحكم عليه بالكفر فلا يُكفّرونه،

فمرتكب الزنى أو الرّبا أو غيرها من المعاصي مثل هذا لا يُكفّرونه؛ هذا مرتكب لكبيرة؛ والخوارج يُكفّرونه.

(لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ) يعني المسلمين الذين يشهدون الشهادتين ويستقبلون قبلة المسلمين، لا يُكفّرونهم بأيِّ معصية أو أيِّ كبيرة، (كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ)؛ فإنهم يُكفّرون بأي كبيرة.

قال: **(بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي)**

يعني صاحب المعصية هو أخ للمؤمن وإن ارتكب معصيته؛ فهو مؤمن مثله، لكن الفرق بينهما في الزيادة والنقصان، أما أصل الإيمان؛ فثابت في الاثنين.

قال: **(كَمَا قَالَ سُبْحَانَه فِي آيَةِ القِصاصِ: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ})**

القاتل إذا قَتَل؛ فهو مرتكب لكبيرة، وصاحب الدم إذا عَفى عن الدّم الذي له- عَفَى عن القاتل-؛ قال: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ} فسمّى صاحب الدّم والقاتل إخوة، أثبت لهم الأُخوة، أيّ أُخوة؟ الأخوة الدينية؛ ليس عندنا في الإسلام إلّا أخوة واحدة؛ هي: أخوة الدين التي يُعقد عليها الولاء والبراء؛ ليس عندنا غير هذا؛ لا وطنية ولا حزبية ولا غير ذلك، نوالي ونعادي على الدّين فقط.

{فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ} أي: أخيه المؤمن، فلمّا أثبت لهما الأخوة الإيمانية؛ دلّ على أنّ مرتكب الكبيرة ليس بكافر.

قال: **(وَقَالَ: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ})**

فسمّاهم كلّهم إخوة بالإيمان {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} وهم المتقاتلان.

قال رسول الله ﷺ: "إذا التقى المُسْلِمانِ بِسَيْفَيْهِما؛ فالقاتِلُ والمَقْتولُ في النَّارِ"؛ فقد ارتكبا كبيرة من الكبائر، لكن مع ذلك أثبت الله تبارك وتعالى لهما الإيمان، إذن فمرتكب الكبيرة مؤمن وليس بكافر؛ وهذا بالنسبة للكبيرة التي لم يثبت بالشرع أنّها كفر.

قال: **(ولاَ يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمِ الايمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ)**

الفسق هو: الخروج في أصله، والفاسق في الشرع هو مرتكب الكبيرة أو المصرّ على الصغيرة، فالفاسق الملي؛ هو الذي من ملّة الإسلام- فهو فاسق ملّي؛ يعني من ملّة الإسلام-؛ ولكنّه مرتكب لذنب فَسَقَ به، فأهل السنة لا يسلبونه الإسلام بالكلية، يعني: لا يقولون هو كافر، لا يُكفّرونه بما فعل من معصية وذنب لا يَكفر به.

قال: **(وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ.)**

فلا يقولون: هو كافر ولا يقولون: هو مخلد في النّار، الذين يقولون هو كافر: الخوارج، والذين يقولون هو مخلد في النّار: الخوارج والمعتزلة، المعتزلة يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين في الدنيا، بين الإيمان والكفر، فأثبتوا منزلة وسطى ليست في الشرع، ويقولون: هو في الآخرة مخلد في نار جهنم، يعني في النهاية وافقوا الخوارج.

أمّا أهل السنة فيقولون: هو فاسق بذنبه- بكبيرته- مؤمن بإيمانه، فيُسمّونه فاسقاً ولا يسمونه كافراً.

(وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّار كَمَا تَقولُ الْمُعْتَزِلَةُ) والخوارج أيضاً.

قال: **(بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإيمَان المطلق)**

هنا الإيمان المطلق ليست على المعنى الاصطلاحي المعروف؛ إذا قلت الإيمان المطلق فالمراد منه الإيمان الكامل، وإذا قلت مطلق الإيمان فالمراد أصل الإيمان، هنا أطلق المؤلف هذه الكلمة ليس على هذا الاصطلاح؛ فالفاسق يدخل في اسم مطلق الإيمان يدخل في اسم أصل الإيمان، عند إطلاقك للاسم تقول المؤمنون فيدخل الفاسق ضمن هذا- إذا أطلقت الاسم- هذا معنى كلامه.

قال: (كَمَا فِي قَوْلِهِ: {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ})

هل يدخل الفاسق أم لا يدخل؟

نعم يدخل؛ لأنّه أطلق اسم الإيمان، وهذا التمثيل فسر كلام المؤلف الذي يريده؛ يريد من ذلك أنّك إذا أطلقت اسم الإيمان فيدخل فيه الفاسق ويدخل فيه كامل الإيمان.

قال: (وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا})

{إنّما المؤمنون} هنا أطلق الإيمان؛ هل دخل فيه الفاسق أم لا؟

لا لم يدخل قال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}) هذا الوصف هو وصف المؤمنين كاملي الإيمان، وليس المؤمن الفاسق داخلاً في مثل هذا؛ لذلك قال: (وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ) يعني: إذا أُطلق اسم الإيمان؛ فتارة يدخل الفاسق وتارة لا يدخل.

قال: (وَقَوْلُه ﷺ: "لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

ما المقصود هنا من هذا؟

المقصود هو الإيمان الكامل، من عنده إيمان كامل لا يزني حين يزني وهو مؤمن، وهنا الآن أطلق الإيمان ولا يدخل فيه الفاسق.

قال: (وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

كذلك لا يكون مؤمناً كامل الإيمان ويسرق؛ إنما يسرق عندما يكون ناقص الإيمان، كذلك الزاني يزني عندما يكون ناقص الإيمان، حين يكون كامل الإيمان لا يزني.

قال:(وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

كذلك.

قال: (وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

كذلك النهبة، والمقصود بالنهبة: أخذ المال على وجه الغنيمة؛ تأخذ المال كأنّك غنمته، هذا نَهْبٌ، أخذٌ للمال من غير وجه حقٍّ، هذا نهب ومحرم فلا يفعله المؤمن في حال كمال الإيمان عنده؛ وإنّما يفعله وهو ناقص الإيمان.

قال: (وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ: مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، ولا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ)

هؤلاء هم أهل السنة، لا يعطونه الاسم المطلق؛ يعني: الاسم الكامل؛ فلا يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان، لكنّه مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، كذلك: (لا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ) أي: أصل الاسم؛ يعني: لا يُنفى عنه الإيمان، فيسلب أصل الاسم تماماً، يبقى الإيمان موجوداً ولكنّه ناقص الإيمان.

هذه عقيدة أهل السنة في مرتكب الكبيرة، أمّا المرجئة فيقولون: هو مؤمن كامل الإيمان، إيمانه كإيمان جبريل وكإيمان أبي بكر وعمر، وأمّا الخوارج فيكفرونه، وأهل السنّة وسط بين الطرفين.

قال المؤلف رحمه الله: (فَصْلٌ: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلاَمَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)

هذا أصل عظيم عند أهل السنة والجماعة وهو سلامة قلوبهم؛ أي: أنّهم يحبون أصحاب النبي ﷺ ويترضون عنهم ويتولونهم- هذا معنى سلامة قلوبهم لهم-، وسلامة ألسنتهم: لا يذكرونهم إلّا بخير، ويثنون عليهم.

والصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك- هؤلاء هم الصحابة-،

ونحن نَعرِف لهم فضلهم ونعرف لهم مكانتهم لكثرة الأدلة التي وردت في ذلك؛ منها قوله تبارك وتعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، ومنها قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا}، وقال: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} وقال: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} وقال:{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} والآيات في هذا المعنى كثيرة، والسنن عن النبي ﷺ كثيرة؛ منها قوله ﷺ: "لوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ"، وقال: "إذا ذُكِرَ أَصْحابي فَأَمْسِكوا"، هذا كلّه يدلّنا على فضل الصحابة وعلى مكانتهم.

من أين حصل الصحابة على هذه الفضيلة وعلى هذه المكانة؟

من نصرتهم للنبي ﷺ، ومن نصرتهم للإسلام؛ فالوقت الذي نصروا فيه الإسلام، يختلف عن وقتنا اليوم مثلاً، فنصرتك تختلف عن نصرة الصحابة رضي الله عنهم، في وقت كان الدين في بدايته وكانت الدعوة في أولها، وقد تنكّب لها الكثيرون وأدار ظهره لها كثيرون أيضاً، هم ضحوا بالغالي والنفيس، ضحوا بأَنْفَسِ ما يملكون من أجل حمل راية لا إله إلا الله ومن أجل الدفاع عن النبي ﷺ فحصلوا على المكانة التي حصلوا عليها، انتبه للحديث الذي ذكرناه: "لوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ولا نَصِيفَهُ"؛ لماذا؟ لأنّ نفقة الواحد منهم، هذا المُدّ الذي كان في وقتٍ وزمنٍ الحاجة إليه أشدّ وأكبر من إنفاقك لجبل من الذهب؛ فالمسلمون كانوا محتاجين لمثل هذه النفقات،

يحتاجون للأسلحة والطعام والشراب، فكان الواحد منهم إذا أنفق؛ كانت نفقته أعظم من نفقة من بعدهم؛ لذلك نال الصحابة هذا الشرف العظيم الذي نالوه.

قال المؤلف: **(كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِـهِ تَعَالَى: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ})**

هكذا ينبغي أن يكون المؤمن {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} فيدعون لهم بالمغفرة، {وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} فيدعون الله سبحانه وتعالى أن يُحبّب أولئك القوم إلى قلوبهم وألا يكون في قلوبهم غلٌّ عليهم، {رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}؛ إذن: هذه هي العقيدة التي يجب أن يحملها المسلم لأصحاب النبي ﷺ.

وقد خالف في ذلك الخوارج والرافضة؛ فالخوارج قالوا بتكفير الصحابة، والروافض كذلك كفّروا أكثر أصحاب النبي ﷺ، نجّوا منهم بضعة عشر فقط من الكفر، والباقي كلّهم عندهم كفّار، ومرادهم من وراء هذا هدم الشريعة؛ لأنّهم ما يستطيعون أن يأتوا للناس مباشرة ويقولون لهم: القرآن مُحرّف، السنة خطأ؛ لا؛ لأنّ الناس مباشرة ستدور عليهم، لكن أرادوا أن يهدموا الواسطة بيننا وبين القرآن والسنة، الذين أوصلوا لنا القرآن والسنة وهم الصحابة، فإذا كفّروهم انتهى كلّ شيء؛ لذلك هم يقولون بتحريف القرآن؛ لأنّ الذين نقلوا القرآن هم الصحابة، فتلاعب الصحابة بالقرآن- هكذا يقولون-؛ هذا الذي يريدونه أصلاً، وهذا الذي خططوا له من البداية؛ فقالوا: هو مُحرّف، والسنة نقلها الصحابة؛ إذن: الصحابة كفّار يلعبون بالسنة كما يشاؤون، إذن: انتهى لا يوجد دين، أين الدين إذن؟ الدين الذي جاء به آل البيت، ما هو الدين

الذي جاء به آل البيت؟ أكاذيب وضعوها من رؤوسهم، لا يوجد ما يثبت عن آل البيت من الذي عندهم، وليس عند أهل السنة، الذي ثبت عن آل البيت موجود عند أهل السنة.

هذه هي عقيدتهم وهذا هو دينهم.

اليوم كما ذكرنا مصيبتنا في التناقض، نفس ما ذكرنا في الإيمان نذكر في الصحابة الآن؛ تجد شخصاً يأتيك يقول لك ما عقيدتك في الصحابة؟ عقيدتنا في الصحابة نحبهم ونتولاهم وألسنتنا تكون سليمة عليهم وندعو لهم.. إلخ؛ ثم تجده في مجالسه الأخرى يقول لك الصحابة أصابتهم غثائية، ما معنى غثاء، يعني لا خير فيهم، الغثاء مثل هذا الزبد الذي يخرج عند تلاطم المياه، شيء ليس من ورائه منفعة، ليس من ورائه فائدة.

وآخر يقول لك: الصحابة أصابهم عُجْبٌ، يُخطب بها على المنابر هنا، الصحابة أصابهم عُجب، الله المستعان، ويقول لك: نحن نحترم الصحابة، في زمن قد عظمت فيه الفتنة من قبل أعداء الصحابة، يعني: حتى لو كنا نريد أن نتساهل مع البعض- حصل منا تقصير وتساهلنا مع هؤلاء القوم في بعض الأزمنة-، في زماننا هذا لا يجوز التسامح معهم لأنّ الفتنة قد عظُمت في هذه المسألة بالذات، منذ متى كنا نسمع العامة يأتي ويتكلم في معاوية ويسبّ معاوية ويلعن معاوية ويلعن أبا سفيان وهندا؛ منذ متى؟ ما سمعنا إلّا في زماننا هذا؛ لماذا؟ لأنّ فتنة الرافضة قد اشتدت وعظُمت وانتشر مذهبهم، فصاروا يُلَبِّسون على الناس، فيأتي أمثال هؤلاء ممن يَدّعون السنة ومحبة السنّة وحمل عقيدة السنّة ويتكلمون بمثل هذا الكلام الباطل.

قال: (وَطَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ)

إذن هم يعتقدون وجوب هذا الأمر ويطيعون النبي ﷺ فيه، وأنّهم لا يسبون أصحاب النبي ﷺ، ثم يقول لك غثائية ليست سباً! يا أخي لو جاءك شخص وقال لك: أنت غثائي؛ هل تفرح؟ تضحك له؟ لو جاءك وقال لك: أنت رجل مليء بالعُجب، وأصابك العُجب؛ تضحك له؟ ستقول له: لماذا تتكلم فيّ وتطعن فيّ؟ تتكلم فيهم بما هو أقل من هذا ويقوم ويحتج ويزبد ويرعد، ثم يقول لك غثائية وعُجب ليس فيه سبٌ.

قال: (وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ)

يُسلّمون بهذا كلّه.

قال: (وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ- وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ، عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ)

{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}؛ ما المقصود بالفتح؟

بعضهم قال: المقصود بالفتح فتح مكة، والبعض قالوا: بل الفتح هو صلح الحديبية؛ لأنّه كان هو بداية الفتح حقيقة، وهو الذي يذهب إليه المؤلف رحمه الله؛ فيقول:

(وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ)؛ يعني: من أنفق وقاتل قبل صلح الحديبية أفضل عندهم ممن أنفق وقاتل من بعد صلح الحديبية، وهو الآن في صدد الحديث عن التفضيل بين الصحابة، كلّ

الصحابة أصحاب فضل وكلّ الصحابة عدول وكلّ الصحابة نحبهم ونتولاهم؛ لكن هل يتفاضلون في مرتبة الفضل؟ نعم؛ فمن أفضل ممن؟

يجيبك بقوله: يُفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل على من أنفق من بعد الفتح وقاتل؛ استدلالاً بالآية التي ذكرناها.

قال: **(وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ)**

المهاجرون هم الذين هاجروا إلى المدينة في عهد النبي ﷺ قبل فتح مكة؛ لأنّ الهجرة بعد فتح مكة انتهت؛ قال النبي ﷺ: "لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ؛ ولكنْ جِهادٌ ونِيَّةٌ"، فمن هاجر قبل الفتح؛ فهؤلاء هم المهاجرون، هاجروا إلى النبي ﷺ.

والأنصار هم الذين هاجر إليهم النبي ﷺ إلى المدينة ونصروه، فيُقدّمون المهاجرين على الأنصار.

قال: **(وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ- وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)**

من أين جاءت لأهل بدر هذه الفضيلة؟ هذا حديث معروف في "الصحيحين"، لمّا عَمِل أحد الصحابة ذنباً واسْتُأذِن النبيُّ ﷺ في قتل هذا الرجل؛ قال ﷺ: "دَعْهُ؛ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إلى أَهْلِ بَدْرٍ فقال: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ"، إذن: أهل بدر مغفور لهم؛ هو أمرٌ مسلمٌ بنصِّ حديث النبي ﷺ، بماذا نالوا هذا الشرف وهذه المغفرة؟ بنصرتهم للإسلام وللرسول ﷺ، في أول معركة وقعت في الإسلام -معركة بدر- وكان فيها نكاية بالكفّار، وكانوا قلّة وصبروا وجاهدوا حتى فتح الله تبارك وتعالى عليهم.

قال: (وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ)

أصحاب الشجرة هم أصحاب بيعة الرضوان، الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة؛ هؤلاء جاء ذكر عددهم في حديث في "الصحيحين" أنّهم كانوا ألفاً وأربعمائة.

قال: (وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَـهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالْعَشَرَةِ)

من عقيدة أهل السنة أن لا يشهدوا لأحدٍ معين بجنّةٍ ولا نار؛ لأنّنا لا ندري حقيقةَ ما مات عليه الرّجل، فالرّجل يكون عمله من عمل أهل الجنّة حتى يغلب عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النّار فيموت على ذلك، والعكس؛ لذلك نحن لا ندري نهاية هذا الرجل؛ نهايته على ماذا؟ لذلك لا نشهد لأحدٍ بجنّة ولا نار إلّا من شهد له النبي ﷺ بذلك؛ ومن هؤلاء: العشرة المبشرون بالجنّة، وليس المعنى: "المبشرون بالجنّة" أنّهم فقط هم الذين بُشروا بها وغيرهم لم يبشروا؛ فالذين بُشروا بالجنة كثير؛ لكن هؤلاء الذين جاء ذكرهم مسروداً في حديث واحد؛ وهم:

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي- هؤلاء الخلفاء الأربعة- وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة بن الجراح؛ هؤلاء عشرة.

وقد جُمعوا في هذه الأبيات:

وقل: إنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزيراهُ قِدْماً، ثُمَّ عُثْمانَ الارْجَحُ

ورابِعَهُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عليٌ حَليفَ الخَيْرِ بالخَيْرِ مُنْجَحُ

وإنَّهُمُ للرَّهْطُ لا رَيْبَ فيهِمُ على نُجُبِ الفِرْدَوْسِ بالنُّورِ تَسْرَحُ

سَعيدٌ وَسَعْدٌ وابنُ عَوفٍ وطَلْحَةٌ وعامِرُ فِهْرٍ والزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ

قال: **(وَثَابِتِ بْنِ قِيْسِ بنِ شَمَّاسٍ)**

هذا أحد خطباء النبي ﷺ وهو من الأنصار، لمّا نزلت آية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} جلس في بيته يبكي وظنّ أنّه المقصود بهذه الآية، وأنّ عمله قد أُحبط، فلمّا سأل عنه النبي ﷺ؛ قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أنا في النّار، قال: وما ذاك؟، قال: صوتي عالٍ ويرتفع عندك فأُحبط عملي، قال: "بل أنت في الجنّة"، فشهد له النبي ﷺ بالجنة.

قال: **(وَغَيْرِهِم مِّنَ الصَّحَابَةِ)**

كالحسن والحسين اللذين قال فيهما النبي ﷺ: "سيدا شباب أهل الجنّة"، وعائشة التي قال له جبريل بأنّها زوجتك في الدنيا وفي الآخرة، وخديجة بُشرت ببيت في الجنّة، وأبو الدحداح وبلال وعكاشة بن محصن؛ وكثير شهد لهم النبي ﷺ بالجنّة، فنشهد لهم بذلك.

هل هؤلاء فقط الذين يُشهد لهم بالجنّة أم يُشهد أيضا بالجنّة لكلّ من أثنى عليه المؤمنون وذكروه بخير؟

المسألة محلّ خلاف، والراجح أنّه يُشهد بالجنّة أيضاً لمن شهد له المؤمنون بخير، وذلك لحديث الرجل الذي مُرَّ بجنازته فقال فيه النبي ﷺ: "وجبت"، ومُرَّ بجنازة ثانية وقال: "وجبت"، قالوا: يا رسول الله وما ذلك؟ قال: " هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ"؛ فهنا لمّا أثنى عليه المؤمنون بخير كان من أهل الجنّة بشهادة المؤمنين، وهم إذا شهدوا له يشهدون له بأعماله وأقواله؛ لكن ليس المقصود من ذلك شهادة كلّ من هبّ ودبّ، فالناس اليوم يشهدون حتى للكافر وتجدهم يثنون عليه ثناء عطراً؛ لا؛ أهل الإيمان الذين هم أهله، الذين يعرفون كيف يُفرّقون بين الصالح والطالح.

قال: (وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا : أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ)

هنا التقديم ما بين الخلفاء الأربعة، تقديمهم في الخلافة كتقديمهم في الفضل؛ فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ، هم في الفضل كذلك ولما تولوا الخلافة؛ تولوا بهذا الترتيب، والدليل على الفضل ما ذكره ابن عمر في حديثه؛ قال: كنا نقول في عهد النبي ﷺ: "أفضل هذه الأمّة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت"، واتفق العلماء على أنّ عليّاً هو رابعهم، وفي الحديث أنّ النبي ﷺ قال: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةَ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْديينَ مِنْ بَعْدي، عَضُّوا عليها بِالنَّواجِذِ"، وكانت مدّة هذه الخلافة أربعين سنة كما جاء في حديث سفينة، فأبو بكر ثم عمر ثم عثمان ورابعهم عليّ كما دلّت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، فعثمان مقدم على عليّ في الفضل وفي الخلافة أيضاً.

قال: (مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - رَضَيَ اللهُ عَنْهُمَا - بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ)

يعني: عثمان أم علي؟

قال: (فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ)

الكلام هنا في التفضيل؛ فقدم قوم من أهل السنة عثمان رضي الله عنه.

قال: (وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا)

توقفوا في المقارنة بين عثمان وعليّ في التفضيل، لكن طبعاً هؤلاء مخطئون؛ والصواب مع من قدّم عثمان على عليّ بنص الحديث الذي ذكره ابن عمر.

قال: (لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ)

ثُمَّ عَلِيٍّ، وإن كان حصل خلاف ولكن هذا الخلاف قديم وانتهى.

قال: (وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ- مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، ولَكِنِ المسألة الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثم عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ الأئمة؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ)

إذن الإجماع منعقد على تقديم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ في الخلافة، ومن خالف في ذلك فهو أضل من حمار أهله، كما قال المؤلف رحمه الله؛ هل يفهم الحمار شيئاً؟ لا يفهم شيئاً؛ وهذا أضل منه.

أمّا مسألة التفضيل بين عثمان وعلي؛ فقال المؤلف: لمّا حصل خلاف بين بعض أهل السنة من المتقدمين؛ فهذه المسألة لا يُضَلَّل فيها، إذن أفادنا ابن تيمية رحمه الله هنا فائدة هي أنّ من المسائل ما يضلل بها ومن المسائل ما لا يضلل بها؛ كيف نعرف ذلك؟

نعرفه من خلال الأدلة ومن خلال ما كان عليه السلف رضي الله عنهم، فما حصل فيه إجماع من السلف؛ فمن خالفه يضلل به، وما كانت أدلته محكمة معمول بها عند السلف ولم يُخالف في العمل بها أحد من السلف.

فإذا خالف فيها أحد؛ يضلل بذلك، كما قال نُعيم بن حماد: "من ترك حديثاً معروفاً ولم يعمل به وأراد له علّة فهو مبتدع".

وهذا في حديث واحد، ثم لا يأتينا شخص يقول: الشخص لا يخرج من السلفية بمسألة أو مسألتين أو ثلاث او أربع، عدّ، كم مسألة ستصل؟ خمسة عشرة، عشرين؟ تقول:

سبعة، لكن ما هو الدليل على الستة والسبعة، ما هو الدليل على أنّ صاحب الستة والسبعة لا يخرج وصاحب الثمانية يخرج؟ من أين تأتي بهذه التفصيلات، هذا لم يكن عليه السلف رضي الله عنهم، هذا كلام السلف واضح، ولإسحاق بن راهويه كلمة قريبة من معنى كلام نُعيم بن حماد، هذا منهجهم؛ فليست مسألة التضليل عندهم خاصة بالعقيدة أو متعلقة بعدد المسائل؛ لا، البعض الآن يقول: لا تضلل إلّا إذا خالف في العقيدة، هل نتركه يُفسد بعد ذلك في المنهج كما يشاء؟ الأمر واسع سهل؟ خرّب الدين كما تحب، بما أنّك متمسك بمسائل العقيدة؛ إذن انتهى الأمر؟

هذا الكلام فاسد غير صحي، العقيدة والمنهج متلازمان.

قال: **(وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ)**

يحبون آل بيت النبي ﷺ، وآل بيته المقصود بهم: أقرِباءه من بني هاشم، وزوجاته أيضاً يدخلن في آل البيت؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى كان يتحدث عن نساء النبي ﷺ ثم قال بعد ذكرهنَّ: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} فنساء النبي ﷺ داخلات في آل بيته، فأهل السنة يحبّون أهل بيت رسول الله ﷺ، وسيذكر المؤلف الدليل على ذلك.

قال: **(وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ)**

لأنّ النبي ﷺ أوصى بهم خيراً.

قال: **(حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: "أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي")**

(خم): مكان، ويُنسب غدير إلى رجل يسمى خُم، وهو الآن مكان، وعندما كان النبي ﷺ في ذاك المكان ذكر هذا الحديث: "أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي"، فهذه وصية النبي ﷺ في آل بيته، والمقصود بآل بيته هم المؤمنون وليسوا الكافرين، الكافرين هؤلاء لا

نتولاهم أبداً، ولا نحبّهم، نبغضهم في الله سبحانه وتعالى، كأبي لهب وما شابه، أمّا المؤمنون فنحبهم ونتولاهم لإيمانهم ولقرابتهم من النبي ﷺ.

قال: (وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّه وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ)
يعني عندهم جفاء لآل بيت النبي ﷺ.

قال: (فَقَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي.

وَقَالَ ﷺ: "إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)
انظر! لازال يصطفي إلى أن اصطفى النبي ﷺ من بني هاشم، فبنو هاشم هم مصطفون من غيرهم؛ فهم من حيث الأفضلية- من آمن منهم- أفضل من غيرهم؛ لنسبهم.

قال: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ)
{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} فهم يحبون أزواج النبي ﷺ، وهن أمهاتهم ويتولونهم، والتولي بمعنى المحبّة والنصرة.

قال: (وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ)

لأحاديث صحت في ذلك.

قال: (خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ)

أول من آمن به هي خديجة، (وعاضده على أمره) يعني: ساندته وأعانته على دعوته.

قال: (وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ)

كان النبي ﷺ يحبّها، ولها عنده منزله عالية ومكانة سامية.

قال: (وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: "فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ")

يعني: لها فضل، وهي مقدمة على بقية النساء، والثريد كان من أجوّد الأطعمة، وهو مقدم على بقية الأطعمة، واختلف العلماء في تفضيل عائشة على خديجة أو خديجة على عائشة؛ والصحيح التفصيل: فمن ناحية النصرة والمعونة؛ كان لخديجة الفضل على عائشة، ومن ناحية العلم ونشره؛ كان لعائشة فضلاً على خديجة.

قال: (وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ)

يتبرؤون من الروافض ويتبرؤون من طريقتهم، وسُمّيَ الروافض بهذا الاسم؛ لأنّهم رفضوا زيد بن الحسين، رفضوه لمّا كانوا قد وعدوه أن يخرجوا معه وأن يساندوه، فامتحنوه بأبي بكر وعمر؛ فقال: هما وزيرا جدّي، فانقسم الشيعة عليه إلى قسمين، قسم هم الرافضة الذين رفضوه، وقسم هم الزيدية، نسبة إلى زيد، وهؤلاء الذين تولوه بعد أن قال ما قال، لذلك لا تَجِدُ عند الزيدية الآن حقداً على أبي بكر وعمر بخلاف الرافضة.

فأهل السنة يتبرؤون من هؤلاء القوم، وهؤلاء قد نصبوا العداء والبغض لأصحاب النبي ﷺ فكفّروهم إلّا قليلاً منهم، وأمّا عائشة فرموها بالزّنا بعد أن برأها الله تبارك وتعالى منه، ومن رمى عائشة بالزّنا بعد أن برأها الله منه؛ فقد كذّب الله في كتابه؛ فهو كافر خارج من ملّة الإسلام بإجماع علماء الإسلام، لذلك كفّرهم العلماء بهذا، وكفّروهم بتكفيرهم للصحابة، وكفّروهم بقولهم بتحريف القرآن، فالإجماع منعقد على أن واحدة من هذه الثلاثة من وقع فيها فهو كافر، وهؤلاء ارتكبوا هذه الثلاثة، مع ما

عندهم من عبادة الحسين وعبادة عليّ واعتقادهم في الحسين مالا يجوز إلّا في الله تبارك وتعالى، أشياء كثيرة جداً؛ فالقوم كفّار يتزيَّون بزيّ الإسلام وليسوا من الإسلام.

قال: (وَمِنْ طَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ)

يعني أهل السنة يتبرؤون من طريقة النواصب، والنواصب هم الذين نصبوا العداء لآل بيت النبي ﷺ، وكان بعضهم من أتباع الدولة الأموية.

قال: (وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ)

يعني من نزاع وخلاف، لا يتكلمون في هذا، يعرفون أنّ للصحابة فضلاً ومكانة، وكونهم بشراً؛ فيجتهدون ويخطؤون ويصيبون، ومن أخطأ يُكَفِّرُ الله سبحانه وتعالى عنه خطأه بما له من حسنات ومن خيرات.

قال: (وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ)

يعني الآثار التي وردت أنّهم فعلوا أشياء غير مرضية.

قال: (مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ)

وهذا حال الكثير منها؛ وضعه الرافضة وغيرهم.

قال: (وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ الصريح)

يعني أصل الأثر تجده صحيحاً؛ لكن وجدت فيه زيادة أو نقص بحيث يُصبح مذمّة.

قال: (وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ)

الصحيح من هذه الآثار التي وردت؛ الصحابة فيه معذورون.

قال: (إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ)

والنبي ﷺ قال: "إذا اجْتَهَدَ الحاكِمُ فَأَصابَ؛ فله أجْرانِ، وإذا اجْتَهَدَ فأخطأ؛ فله أجر"

قال: **(وَهُم مَّعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ)**

يعرفون أنهم ليسوا معصومين، فيقعون في الأخطاء.

قال: **(بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُم مِّنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ- إِنْ صَدَرَ-)**

يعني هذه الذنوب وإن وجدت منهم فهي مغفورة بما لهم من الخيرات والحسنات {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}.

قال: **(حَتَّى أَنَّهُ يَغْفِرُ لَهُم مِّنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يَغْفِرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ)**

كما حصل لأهل بدر.

قال: **(لأَنَّ لَهُم مِّنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ)**

كما قال ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، وفي رواية: "خير القرون قرني" لكن هذه الرواية تحتاج إلى نظر في صحتها، المهم أن الحديث في الصحيحين: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم...".

قال: **(وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّن بَعْدَهُمْ، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ)**

فهو على خير على كلّ حال.

قال: (أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِين هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ)

يعني هذه كلّها أسباب لتكفير الذنب.

قال: (فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بالأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مغْفُورٌ، ثُمَّ إِنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ؛ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ)

يعني الأشياء التي صحّت وتُنكر عليهم أو يُنكَر فعلهم لها؛ قليلة جداً، فهي مغمورة في فضائلهم وحسناتهم.

قال: (مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خِيرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُم هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ)

والله أعلم.

ونكتفي بهذا القدر إن شاء الله.